صدى عشتار في الشعر الجاهلي
Echo of Ushtar in Jahili Poetry

إحسان الديك
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
تاريخ التسليم: (١٨/٤/٢٠٠٠)، *تاريخ القبول*: (١٣/٣/٢٠٠١)

ملخص

يتناول هذا البحث الأم الكبرى "عشتار" وتجلياتها في الفكر القديم، وانسياحها في المخيلة العربية بلبوس الزهرة والعزى، فيرصد صداها في الشعر الجاهلي بوجهها الأبيض، حين تكون ربة للخصب والجنس واللهو، والأسود، حين تكون إلهة الحرب والموت والدمار، معتمداً على النصوص والنقوش القديمة، ومقارنتها بما احتفظت به العربية الفصحى حارسة التراث السامي، مؤيداً ذلك كله بالنص الشعري.

ويقدم البحث تفسيراً لكثير من الصور الشعرية والطقوس الشعائرية الجاهلية التي انبتّت أصولها، كما يجذّر أغلى قيم الجاهلية ومثلها العليا الثلاث: المرأة والخمرة والفروسية، فيربطها بأصولها الدينية التي تمت للأم الكبرى بصلة. ويرى أن المرأة رمز للزهرة مثلما هي رمز للشمس مما يؤكد اختلاف ديانة عرب الجنوب عن عرب الشمال وتداخلهما فيما بعد، وهو ما أيدته الدراسات التاريخية.

Abstract

This paper tackles the Big Mother, Ushtar, and her embodiment in old thinking and Arab imagination in the form of a flower and al-Uiza. The paper has monitored her white face in Jahili poetry at a time when it was fertile land for sex and entertainment. At another time, her face was black and a godess of war, death and destruction. The researcher relied on ancient inscriptions and old texts and compared them with what classical Arabic has preserved of them. In so doing, Arabic has safeguarded noble heritage. Poetry texts were evidence of this. The researcher also offered an interpretation of poetic images, tribal Jahili rituals which nurtured their roots. He also deep rooted the most precious of Jahili values and ideals; woman, wine, Knighthood, and linked them with their religious origins associated with the Big Mother. The woman became a symbol for the flower as she was a symbol for the sun. This clearly shows the difference in between the religion of the South Arabs and that of the North Arabs and their overlapping later on, which was supported by historical studies.

تأسيس

لقد خلق الله عز وجل هذا الكون من العدم، وإليه يعود، وبين البداية والنهاية يبقى قائماً على الحركة الدائبة بين قطبيه، وقوتيه المتناقضتين: الحياة والموت، إذ هما الخيطان اللذان ينسجان الوجود في مقابل العدم.

وخلف قناع سكون الكون، هناك حركة لا تهدأ، وكينونة تتحرك، في كل لحظة فيه تنشأ حياة جديدة، ولكنها تسير في طريقها المحتوم إلى اللاشيء، وقد صدق الله تعالى حين قال: "تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي"(١). فلا حياة بلا موت، ولا موت بلا حياة، كما أن لا نهار بلا ليل، ولا ليل بلا نهار، في غياهب الموت تكمن خميرة الحياة، وفي صميم الحياة تختبئ بذرة الموت.

ولقد صورت الأساطير القديمة سنّة الموت هذه، فظهرت مبادئ الحياة الأولى من أشلاء الإله القتيل، حيث شُقت الإلهة "تعامة" في أسطورة التكوين البابلية إلى نصفين، صنع منهما السماء والأرض، ومن بقية أجزاء جسدها صنعت مظاهر الطبيعة، ومن دم الإله القتيل "كنغو" زوج تعامة، خلق الإنسان، والصراع بين آلهة الحياة وآلهة الموت، سمة بارزة من سمات هذه الأساطير، فهناك صراع "بعل" مع "موت" في الأسطورة الكنعانية، و "أوزوريس" مع أخيه "سيت" في الأسطورة المصرية، و "أهورامازدا" مع "أهريمان" في الأسطورة الزرادشتية.

بالموت ظهر الوجود، وبالموت بدأت حياة الإنسان، ولا تستمر الحياة إلا بالموت، وتقديم القرابين البشرية والحيوانية والنباتية، ولقد ارتبط ظهور القتل/ الموت في الوجود بالفعل الجنسي المشاكل لخصب الطبيعة، واللذين منهما تكون الحياة، فكان مقتل هابيل على يد أخيه قابيل بسبب الزواج وتقديم القربان، وهذه الأرض التي لعنت قابيل هي التي فتحت فاها لتقبل دم أخيه، وهي التي جبل منها جسد أبيه آدم، إنها الأم الكبرى التي تعطي وتأخذ، تحيى وتميت، تمسك باليد اليمنى قوة الحياة والخير، وباليسرى قوة الموت والدمار.

"وتدل الاكتشافات الأركيولوجية الحديثة في منطقة الشرق الأوسط، على أن الأم الكبرى للعصر النيوليتي قد عبدت سيدة للموت كما عبدت سيدة للحياة، وتدل طقوس الدفن التي

مارسها سكان المستوطنات الزراعية النيوليتية على أن الموت لم يكن بالنسبة إليهم سوى معبر للعودة إلى أحضان سيدة الموت، التي كانت في نفس الوقت سيدة للحياة"[٢].

عشتار الأم الكبرى/ سيدة الحياة والموت

أدرك الإنسان منذ فجر وعيه أن بقاءه مرهون بالتكاثر والغذاء، إذ من غير التكاثر ينقرض جنسه ويفنى إلى الأبد، ومن غير الغذاء يتعرض للموت والهلاك، لذا احتل خصب الطبيعة حيزاً كبيراً من معتقداته وطقوسه السحرية في عصور ما قبل التاريخ وما بعده.

ولقد ظل الإنسان في العصر الحجري القديم عالة على الطبيعة، معتمداً عليها، يجمع قوته، ويصطاد حيوانه، ويبذل جهده للسيطرة على مظاهرها، وكبح جماحها، واتقاء أخطارها؛ باسترضائها أو إغرائها حينا، وبخداعها وتقليدها أحياناً أخرى، عن طريق الطقوس السحرية التي عرفها.

وفي أواخر الألف التاسع قبل الميلاد (بداية العصر الحجري الحديث)، عرف الإنسان الزراعة ودجن الحيوان، فاعتبر ذلك انقلاباً كبيراً، وتغيراً خطيراً في المجتمعات البشرية، وبناها الاقتصادية والاجتماعية، حيث انتقل الإنسان من مرحلة الصيد والتقاط الغذاء، إلى مرحلة الاستقرار والزراعة وتربية المواشي، فضمن مصادر غذائه عن طريق انتاجه، بدلاً من السعي من أجل جمعه، وكان الفضل في ذلك كله يعود إلى المرأة، مكتشفة الزراعة، وحافظة البذور، وراعية الأرض والحيوان.

وعندما تعلم الإنسان الزراعة وجد في الأرض أما رؤوما كبرى، فهي التي تحمل روح الخصوبة وهي التي تغذيه، يخرج الزرع من بطنها كما الوليد من بطن أمه، هي الأم الحاملة والمولدة، مانحة الحياة ومنجبتها أو منتجتها، وما إخصاب التربة إلا نوع من الميلاد المتجدد للمحصول مما حدا بعقله إلى عبادتها وتقديسها، واعتبارها قوة أنثوية خالقة، اختلفت أسماؤها باختلاف المهمة التي تقوم بها، فهي في بلاد ما بين النهرين " تحت اسم " نينتو" كانت إلهة الولادة والمخاض، وتحت اسم "ماما" أو "مامي" كانت تقوم بفعل خلق الكائنات البشرية، أما

لدى الكنعانيين فهي "عشيرة"زوجة" إيل" وأم الجميع، وفي آسيا الصغرى هي "سيبيل" أم "آتيس" وفي الوقت الحاضر لا زال الهنود الحمر في أمريكا الشمالية يقدسون الأرض ويعبدونها على أنها الإلهة الأم لديهم"[٣].

سماها الرومان الأوائل " تلوس ماتر" "Tellus Matar" أي الإلهة الأم – إلهة الأرض[٤]، وأطلق عليها الإغريق القدماء اسم "جيا" (Gaia) أو "جي" أي الأرض الأم التي انبثقت منها جميع الأشياء، خلقت العالم، وحبلت بأول جنس من الآلهة، وولدت الجنس البشري[٥]" نراها في المنحوتات البارزة امرأة ترضع طفلاً مع أطفال آخرين ملتفين بثوبها، مخرجين رؤوسهم من بين التلافيف حولها، والأجنة تحيط بها من كل صوب ... بل إنها - كما ينص أحد النقوش – أم الأطفال أجمعين، إذا شاءت، حرمت فاعل الشر من النسل أو منعت عن الأرض كل ميلاد"[٦]، يقول هوميروس في إحدى أناشيده واصفاً الأرض الأم:

" *إنها الأرض التي أغني*

الأم الكونية،

إليك يعود أيتها الأرض

أن تعطي الحياة للأموات

مثلما يعود إليك أن تأخذيها"[١]

وما ذكره هوميروس لا يبتعد كثيراً في معناه عما ذكره أمية بن أبي الصلت في قوله[٨]:

والأرض معقلنا وكانت أمّنا

فيها مقابرنا وفيها نوأد

مما يدل على شيوع فكرة أمومة الأرض وانتشارها عند العرب، ومما يعزز ذلك، بقاء هذه الفكرة في التراث الإسلامي "سئل يحيى بن معاذ الرازي أن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار، فلِمَ يطمئن إليها؟ قال: لأنه منها خلق فهي أمه، وفيها نشأ فهي عشّه، ومنها رزق فهي عيشه، وإليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين إلى الجنة"[٩].

وقد أدرك الإنسان بعد أن خطا خطوة أخرى في مدارج تفكيره أن فكرة الخصوبة هي سر تكاثر النبات والحيوان والإنسان على حد سواء، وأنها لم تعد تقتصر على التراب وحسب، لذا عزا مظاهر الإخصاب والتكاثر إلى قوى إلهية، مثّلها في إلهة واحدة أنثى، لأن العطاء والإخصاب والميلاد كلها من خصائصها، وأطلق على هذه الإلهة الكونية اسم "الإلهة الأم" أو "سيدة الطبيعة".

ثم وجد الإنسان القديم في المرأة المخصبة رديفاً للأرض المخصبة وصنواً لها، باعتبارها مصدر الحياة، وراعية الخصب الجسدي والولادة والتكاثر، قبل أن يعرف دور الرجل في الإخصاب " فمن جسدها تنشأ حياة جديدة، ومن صدرها ينبع حليب الحياة ... وخصبها وما تفيض به على أطفالها هو خصب الطبيعية التي تهب العشب معاشاً لقطعان الصيد، وثمار الشجر غذاء للبشر ...... لقد كانت المرأة سراً أصغر مرتبطاً بسر أكبر، سر كامن خلف كل التبديات في الطبيعة والأكوان، فوراء كل ذلك أنثى كونية عظيمة هي منشأ الأشياء ومردها، وعنها تصدر الموجودات، وإلى رحمها يؤول كل شئ كما صدر"(١٠).

"ظهرت هذه الإلهة الأم الأنثى ممثلة للقوة العظمى، تضم الكون بين حناياها، كما تضم المرأة وليدها، قبل ظهور الذكر، ويكاد دارسو الميثولوجيات يجمعون على أسبقية العبادات القمرية على الشمسية، وارتباط العبادات القمرية بالمرأة، وسيادة الألوهية المؤنثة، بينما يرتبط الانقلاب الشمسي ودياناته بالسيادة الذكورية"(١١).

ومما يؤيد أسبقية المجتمع الأمومي على المجتمع الأبوي أن أقدم التماثيل التي شكلها الإنسان للعبادة في العصر الحجري هي تماثيل إناث على شكل دمى طينية أو حجرية أو مرمرية، أو فخارية "في هيئة امرأة حبلى أو أم تضم إلى صدرها طفلها الصغير، أو عارية الصدر تمسك ثدييها بكفيها في وضع عطاء، أو ترفع بيديها باقة من سنابل القمح"(١٢).

ومما يلفت النظر في هذه التماثيل، أنها عديمة ملامح الوجه، تبدو بدينة مترهلة، بولغ في تضخيم الأعضاء الأنثوية، "فمنطقة الثديين والبطن والحوض وأعلى الفخذين التي تشكل معاً كتلة ممتلئة، عنى الفنان بإظهار وتضخيم كل جزء فيها بطريقة تبدو معها بقية الأعضاء

وكأنها رسمت لتظهر ما لهذه الكتلة من أهمية قصوى، فالثديان عبارة عن كتلتين هائلتين مستديرتين والبطن منتفخ في إشارة لحمل أبدي، والردف ثقيل، والوركان قويان بارزان، ومثلث الأنوثة منتفخ يشكل مع أعلى الفخذين وحدة متماسكة، وقد يتدلى الثديان ليشكلان مع البطن والوركين تكويناً واحداً متراصاً تتجمع فيه هذه الرموز في بؤرة واحدة هي مستودع الخلق"(١٣).

وحينما كان الإنسان القديم يرحل من المناطق الزراعية الوفيرة الإمطار، إلى المناطق المجدبة الشحيحة الأمطار، وكان يراقب تحول الخصب في النبات والطبيعة، أدرك أن الأرض ليست هي العامل الوحيد في الخصب، وأن المطر يلعب دوراً مهماً في الزراعة، وقد ترافق ذلك مع فهم دور الرجل في الإخصاب، فعقد علاقة بين المطر ومني الرجل، وكان هذا التحول فاتحة لانقلاب ذكري فيما بعد(١٤). فبدأت فكرة ظهور الإله الذكر إلى جانب الأم الكبرى، "وكان الإله الذكر هو ابن الأم الكبرى وزوجها في آن معاً تمثله المنحوتات الجدارية على هيئة ثور يولد من رحم الأم الكبرى"(١٥).

كانت عبادة الأم الكبرى منتشرة عند كل الشعوب القديمة قبل السومريين وبعدهم، واختلفت أسماؤها باختلاف الأمم التي عبدتها فهي "إنانا" السومرية، و"عشتار" البابلية والأكادية و"أنايتيس" الأشورية، و"عناة" الكنعانية و"عشيرة" أو "أثيرة" الفينيقية، و"عشتروت" العبرانية، و"أفروديت" الإغريقية، و"فينوس" الرومانية، و"إيزيس" المصرية، و"أناهيد" الفارسية، و"العزى" أو "الزهرة" العربية.

هذه هي الأم الكبرى وإن تعددت أسماؤها، وتنوعت تجلياتها، هي ربة الحياة، ومانحة الخصب وسيدة الكون، تقول صلاة سومرية مرفوعة إلى الإلهة الأم "إنانا" :

"سيدة النواميس الكونية، أيتها النور المشع، يا واهبة الحياة وحبيبة البشر، أنت أعظم من كبير الآلهة "آن"، وأعظم من الأم التي ولدتك، يا مليكة البلاد الحكيمة العارفة، يا مكثرة المخلوقات"(١٦).

وتقول ترتيلة بابلية في عشتار:

"لك الحمد يا أرهب الإلهات، لك الإجلال يا سيدة البشر، وأعظم الآلهة، عشتار مالها في عظمتها قرين، بيدها مصائر الموجودات جميعاً، لها الدعاء، واسمها الأول بين الأسماء"[١٧]. وتقول "إيزيس" الأم المصرية واصفة نفسها :

"أنا أم الأشياء جميعاً، سيدة العناصر، وبادئة العوالم ... يعبدني العالم بطرق شتى وتحت أسماء شتى، أما اسمي الحقيقي فهو "إيزيس" به توجهوا إلي بالدعاء"[١٨].

وسأدعو في هذا البحث إلهة الخصب هذه باسمها البابلي عشتار، نظراً لإصولها الساميـــة التي تمت للعرب بصلة، ولشهرتها بين الباحثين والانثربولوجيين والقراء، ولأن الطقوس والمعتقدات الخاصة بها عند الشعوب هي عينها طقوس عشتار البابلية.

كانت عشتار تجسيداً لقوة الإخصاب الكونية، وروح النبات، وكان غيابها وعودتها يمثلان دورة الحياة النباتية في الطبيعة، إذ بغيابها عن عالم الأحياء تجف الأرض، ويتوقف النسل، وتتعطل كل مظاهر الحياة المتجددة، ولقد كانت الملحمة السومرية "هبوط إنانا إلى العالم الأسفل" أول ملحمة في التاريخ خطتها يد الإنسان لتفسير هذه الدورة النباتية، تلك الملحمة التي أعاد البابليون صياغتها في أسطورة " هبوط عشتار إلى العالم الأسفل" تقول هذه الأسطورة :

"*ولما نزلت السيدة إشتار إلى الأرض التي لا يعود منها من يدخلها،*

لم يعل الثور البقرة، ولم يقرب الحمار الأتان

والفتاة في الطريق لم يقترب منها الرجل

ونام الرجل في حجرته

ونامت الفتاة وحدها"[١٩]

بهذه الكلمات وُصف غياب عشتار ونزولها إلى العالم الأسفل، أما عودتها فكانت مقرونة بعودة الحياة، ونمو النبات، وكثرة التناسل، يقول فراس السواح: أود أن ألفت النظـــر لخطـــأ شائع يقع فيه الكثيرون عندما يتحدثون عن الإله تموز، فيـــصفونه بأنـــه الحيـــاة الزراعيـــة

المتجددة، أو الدورة الطبيعية السنوية، والواقع أن غياب الحياة عن الزراعة وجفاف الأرض هو تعبير عن القوة الإخصابية الواهبة للحياة والمتمثلة بـ "إنانا" أو "عشتار" ... إن الطقوس والعبادات التي سميت تموزية من قبل الباحثين خطأ، هي طقوس وعبادات عشتارية، وليس النواح على تموز في مواسم أعياده إلا مشاركة من العباد لعشتار في أحزانها، ولا نستطيع أن نطلق على تموز صفة إله الخصب إلا مجازاً وكناية"(٢٠).

وكما كانت عشتار إلهة الخصب والحب ومتع الحياة، كانت كذلك إلهة الموت والحرب والهلاك، من ألقابها "نجمة العويل" و"سيدة المعارك" و"سيدة النواح" و"سيدة الليل" و"الماكرة" و"المنتصرة"، مثلتها الأعمال الفنية البابلية في عدة الحرب الكاملة، تقف على أسدين، تحمل أسلحتها : القوس والكنانة والسيف، وتظهر فوق رأسها النجمة الثمانية، كما يظهر بالقرب منها مشهد لوعلين متشابكين(٢١).

وتظهر "عشتارت" في الميثولوجيا السورية على إحدى المسلات "مقاتلة عارية فوق فرس وقد شدت عنانه على جسدها، ترمي بنبلة من قوس ... وهناك مشهد آخر للإلهة وهي عارية إلا من قلادة في عنقها، وخواتم في أصابعها، تمتطي جواداً، وتلوح بسلاح في يدها"(٢٢).
تقول ترتيلة بابلية واصفة عشتار سيدة المعارك والدمار:

"أنت ربة كل سلاح، ولك الأمر الفصل في المعارك
أنت سبب العويل والنواح، تزرعين العداوة وتفرقين بين الأخوة،
أي "جوتبرا" أنت متمنطقة بالمعارك، متّشحة بالرعب والهول
لذكر أسمك تهتز السماوات والأرض
يرتجف الآلهة، وتترنح أرواح البشر"(٢٣)

وفي نشيد ارتقاء عشتار يقول المنشدون:

اجعلي الجيوش، يا سيدة المعارك لا تتجابه وتتصادم
يا إلهة جولات القتال، قودي المعركة،

وكأنها مجموعة دمى تحركها يدك

أي إنين، في كل مكان يعرف صليل السلاح والمذبحة

اجعلي البلبلة لعبتك وكأنك ترمين النرد"(٢٤)

وفي أسطورة "بعل" الأوغارتية، تكشف إلهة الخصب "عناة" عن وجهها الأسود، وقوتها الأنثوية المدمرة، فتقول الأسطورة في وصفها :

حاربت المدن

سحقت سكان السواحل

غلبت رجال الشرق

تحتها الرؤوس مثل الكُوَر

أكفّ المحاربين مثل تلال القمح

في احتدام القتال

الرؤوس حول خصرها

ركبتاها غطست بدم الحراس

النجيع جمد على ردائها"(٢٥)

وكان للإلهة "أفروديت" وجهها الأسود أيضاً، فأداتها التي تزرع بوساطتها الحب في قلوب البشر، هي نفس السهام التي تؤدي إلى التهلكة، وقد عبدت في اسبرطة وقبرص إلهة للحرب والمعارك، وصورت في عدة الحرب الكاملة، كما عبدت إلهة للموت تحت اسم "افروديت المقابر(٢٦).

كما أذكت "فينوس" نار حرب طروادة، وجعلت الآلهة ينقسمون على أنفسهم إلى فريقين متحاربين، فريق مع الطرواد، وآخر مع الإغريق، وانضمت إلى فريق الطرواد الذي مثل قوة الشر والطغيان والاعتداء(٢٧).

وقد حاول بعض الباحثين تفسير هذه الازدواجية في شخصية عشتار، فمنهم من ردها إلى صلة عشتار الأم الكبرى بحياة الإنسان "سواء عندما يفنى في خضم المعركة، أو عندما يخلق من لهيب العاطفة واتصال الجنسين"[٢٨]، ومنهم من عزاها إلى ظهور الزهرة (رمز عشتار) أحياناً في المساء، وأحياناً أخرى وقت السحر، فاعتبروها إلهة الحب واللذة حين تكون إلهة المساء، وإلهة الحرب والدمار حين تكون إلهة الصباح[٢٩]، ويرى الأستاذ فراس السواح أن الأساطير القديمة تظهرها "تارة ابنة لسن إله القمر وتارة ابنة لآنو إله السماء، فكابنة لآنو كانت عشتار إلهة للخصب والحب ومتع الحياة، وكابنة لسن القمر حاكم الليل، كانت إلهة للدمار وسيدة للحرب والمعارك"[٣٠].

وعندما انهارت الديانة العشتارية، وحلت محلها آلهة الشمس الذكور، بقي وجه عشتار الأبيض وتفتتت صورتها السوداء، وتبعثرت في الحكايات الفولكلورية " ففي الغرب هي الساحرة العجوز الشمطاء، التي تركب عصا المقشة طائرة في الهواء، وفي بلادنا هي "النهّالة" مصاصة الدماء، وهي "السماوية" خاطفة الأطفال، وهي "الغولة" آكلة البشر التي احتفظت بلقب الأم حيث يشير إليها الناس دوماً على أنها ... أمنا الغولة "[٣١].

صدى الأم الكبرى في الشعر الجاهلي

أكثر الشعراء الجاهليون من ذكر الدمى والتماثيل في أشعارهم، وربطوا بينها وبين المرأة فقال النابغة[٣٢]:

أو دمية في مرمر مرفوعة

بنيت بآجُرٍّ يُشاد وقرمد

وقال الأعشى[٣٣] :

كدمية صور محرابها

بمذهب في مرمر مائر

وقال بشربن أبي حازم[٣٤] :

كـــأن على الحـــدوج مخـــدرات

دمى صنعاء خط لها مثـــال

وفي تكرار[٣٥] تشبيه المرأة بالدمية أو التمثال، ما يشي بعلاقة رمزية تكمن وراء العلاقة الظاهرة بين الطرفين؛ إذا نظرنا إلى التشبيه في الشعر الجاهلي على أنـــه لـــيس للتـــزيين أو التوضيح وإنما "يضرب في أعماق الوجود الإنساني الذي يسعى إلـــى اقتنـــاص الحقيقـــة"[٣٦] "فالتمثال له مقاييس وأبعاد ينبغي ألا يخل بها الشاعر، لأن هذا التمثال له ارتباطـــات دينيـــة ينبغي أن يحافظ الشاعر على آثارها، مهما كانت هذه الآثار باهته أو موغلة في القدم"[٣٧] أما الدمية فما زال معناها اللغوي يحمل آثاراً دينية، فهي تعني الصنم أو الصورة المنقوشة مـــن الرخام[٣٨].

وفي ظني أن هذه التماثيل والدمى، تصاوير لربات عبدها الجاهليون، فهل يقدر الوثني – كما يقول الدكتور نصرت عبد الرحمن – "على تشبيه المرأة بما يعبد إن لـــم يكـــن للمـــرأة الموجودة في الشعر شئ من القداسة؟"[٣٩]، وهل كانت هذه التماثيل والدمى امتداداً لـــدمى الأم الكبرى وتماثيلها الأنثوية التي ذكرناها من قبل؟ وبخاصة أن الجاهليين خلعوا علـــى المـــرأة أوصاف تلك الإلهة الأم، وربطوا الخصب بالمرأة، وعلقوا بقاءهم في المكان بوجودها فيـــه، لأنها تهبه الحياة وتملؤه بهجة وحيوية، وإذا رحلت رحلوا، ورحيلها يحيل المكان إلـــى طلـــل مقفر يسكنه الموت، ويسيطر عليه الجدب، تلعب به الرياح والأمطار، وتسرح فيه الحيوانات الآبدة البرية، فترددت في أشعارهم ألفاظ مثل : "عفت" و"أقوت" و"رســـم" و"دمنـــة" و"قفـــر" و"البلى" و"داثر" و"هامد " وكلها تدل على الموت والفناء، فأي امرأة حقيقية تلك التـــي تقفـــر ديارها إذا رحلت عنها وتصير خراباً؟!

ثم إننا لا نجد – في الأغلب الأعم – عند هؤلاء الشعراء أطلالاً من غير امرأة، وهم ينسبون هذه الأطلال إلى إناث مثل: سلمى، وهند، والرباب، وأم أوفى، وأسماء، وسليمى، وأم معبد، ومية، وسعاد،وهند، وخولة، وغيرهن.

وتتبدى قداسة هذه المرأة في قوتها الخارقة، وقدرتها على بعث الحياة في الموتى إذا

أسندتهم إلى صدرها، وغذتهم بلبن الحياة من ثدييها :

لو أسندت ميتا إلى نحرهـــا

عاش ولم ينقل إلى قابـــر

حتى يقــول النـــاس مما رأوا

يا عجباً للميت الناشــــر [٤٠]

ويؤكد القرآن الكريم عبادة العرب الأم الكبرى الأنثى في قوله عز وجل : "إن يــدعون من دونه إلا إناثاً"[٤١]، ففي الآية الكريمة بيان تطور لفظة الأنثى من معنى الإلهة إلى معنـى الصنم إذ يقول ابن منظور: "لم يكن حي من أحياء العرب إلا وله صنم يعبدونها يسمونها أنثى بني فلان، وفسر الإناث في الآية الكريمة السابقة بقوله : كل شيء ليس فيه روح مثل الخشبة والحجارة [٤٢].

واستدل روبرت سميث من تسمي بعض القبائل العربية بأسماء مؤنثة مثل: مدركة، وطابخة، وخندف وظاعنة وجديلة ومرة وأمثالها، ومن وجود بعض الكلمات في سلسلة الأنساب مثل: البطن، والفخذ، والصلب، والظهر، والدم، والرحم، على وجود دور الأمومة عند العرب لأن لهذه الأسماء صلة وعلاقة بجسم الأم "[٤٣].

ولقد احترمت العرب المرأة الولود، مكثرة النسل، وضربوا بها المثل فقالت : أنجب مـن أم البنين وهي بنت عمرو بن عامر جدة لبيد بن ربيعة لأبيه، وأنجب من عاتكة وهي بنت هلال بن مرة، وأنجب من بنت الخرشب وهي فاطمة الأنمارية زوج زياد العيسي[٤٤]، ولإنجابها مدحها الشعراء ولقبوها بالجنية فقال حاتم الطائي[٤٥] :

لعمرك، ما أضاع بنو زيـــاد

ذمار أبيهم، فيمن يُضيـــع

بنو جنية ولــــدت سيوفــاً

صوارم كلها ذكر صنيـــعُ

وكانت المرأة العاقر – مهما بلغ حسنها وجمالها – معرضة للطلاق أو لابتزاز الضرائر

زوجها، قال معقر البارقي"[٤٦]

لها ناهض للوكر قد مهدت له

كما مهدت للبعل حسناء عاقر

تخاف نســاء يبتززن حليلهــا

محردة قد أحردتها الضرائــر

ولذا كانت تلجأ إلى بعض الطقوس السحرية كي تنجب، ومنها العبور فوق جثة القتيــل الشريف سبع مرات، قال بشربن أبي خازم الأسدي في رثاء رجل من قومه[٤٧] :

تظل مقاليت النســاء يطأنــه

يقلن : ألا يُلقى على المرء مئزرُ

ولا تزال النظرة القديمة إلى المرأة المخصبة ماثلة عند قبائل " الباجندا" في وسط أفريقيا، حيث يربط أبناؤها بين خصب المرأة وخصب الأرض، فيسرحون الزوجة العاقر لأن وجودها يصيب الأشجار التي يملكها الزوج بالعقم، بينما يعتبر الزوجان المتئمان علامة على التمتع بالخصوبة ومن ثم القدرة على زيادة الثمار[٤٨].

وتبدو صورة المرأة في الشعر الجاهلي مثقلة بالرموز الأسطورية القديمة فقد جمع الشعراء لها صفات الأمومة والخصوبة، وذكروا من رموزها الظبي والنخلة والدرة والشمس والبيضة، وكلها تبرز صورة الأم المقدسة بشكل غير واع مما يدل على تواجد هذه الصورة في اللاشعور الجمعي العربي.

وكما ارتبطت المرأة بالحياة والخصب في الفكر الجاهلي، ارتبطت كذلك بالحرب والدمار، فصورة الربة المحاربة التي عرفتها الديانات القديمة لم تكن غريبة عن مخيلة الإنسان الجاهلي، الذي عقد صلة بين الأنثى والحرب لغة وتصويراً، فالحرب أنثى في العربية وليست ذكراً[٤٩]، و"العوان" صفة مشتركة بينهما، فهي المرأة الثيب النصف في سنها التي تزوجت وجربت في مقابل البكر، وهي الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة[٥٠]، ولعل هذه الصفة قد تحرفت من (عناة) إلهة الخصب والحرب الكنعانية، وقد وردت في شعر زهير بن

أبي سلمى شاعر السلم والحرب في الجاهلية في قوله[٥١] :

إذا لقحت حرب عوان مضـــرة

ضروس تهر الناس أنيابها عصل

وفي شعر عبيد بن الأبرص في قصيدة له يخاطب فيها امرأ القـيس بعـد مقتـل أبيـه حجـر[٥٢]:

ونسير للحرب العوان إذا بدت

حتى تلف ضرامهـــا بضـــرام

وفي قول عنترة بن شداد[٥٣] :

فإن تك حربكم أمست عوانـــا

فإني لـــم أكـــن ممـــن جناهـــا

فالحرب أنثى تلقح بعد حيال كما يقول الحارث بن عباد[٥٤] :

قربا مربط النعامـــة منـــي

لقحت حرب وائـل عـن حيـــال

تحمل وتلد، ترضع وتفطم، وهي مخصبة متئمة، بيد أن غلمانها غلمان شؤم، وغلالها الدماء المسفوكة التي تضاهي ما أنتجته أرض العراق الخصبة[٥٥] :

فتعرككم عرك الرحـــى بثفالها

وتلقح كشافـاً ثـم تنتـج فتتئـم

فتنتج لكما غلمـان أشـام كلهـم

كأحمر عـاد ثـم ترضـع فتفطـم

فتغلل لكـم ما لا تغـل لأهلهـا

قرى بالعـراق من قفيـز ودرهـم

وتتضح صورة المرأة التي تسربت عناصرها من العقيدة القديمة في قول امرئ القيس

مشاكلاً بين المرأة والحرب(٥٦) :

الحرب أول ما تكـــون فتيــــة

تسعى بزينتها لكل جهـــــول

حتى إذا استعرت وشب ضرامها

عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزت رأسها وتنكـــرت

مكروهــــة للشــم والتقبيــل

فهذه الصورة التي رسمها امرؤ القيس للحرب/ المرأة، تكاد تتطابق مع صورة عشتار بوجيهيها: الأبيض، حين تكون عوانا فتية، جميلة، تغوي عشاقها وتغري بهم، والأسود، حين تحولت في المأثور الشعبي إلى المرأة الساحرة، أو العجوز الشمطاء، أو الأم الغولة مصاصة الدماء، إنها صورة " البسوس " التي أشعلت تلك الحرب الضروس بين بكر وتغلب أربعين عاماً، حين اغتيلت ناقتها السائبة المقدسة التي توحدت مع ناقة صالح علية السلام في الفكر الجاهلي.

في ظل هذا الفهم للأنثى، فإن ما ذكره الآلوسي عن العرب بأنهم " كانوا في الحرب، ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفين، يرون أن ذلك يطفئ نار الحرب ويقودهم إلى السلم، قال بعضهم :

لقونا بأبوال النساء جهالـــــة

ونحن نلاقيهم ببيض قواضب

وقال الآخر :

هيهات رد الخيل بالأبـــــوال

إذا غدت في صور السعالـــي(٥٧)

لا يغدو من أعاجيبهم، ومن مذاهبهم الغريبة كما يقول، وإنما هو موروث قديم، يرتبط بطقس من طقوس الأم الكبرى عشتار مانحة الموت والحياة، إذ يغدو فرج المرأة المنجب هو

القادر الوحيد على استمرارية الحياة وحفظ الجنس البشري من الهلاك من خلال إيقاف الدم المسفوح بالبول المنبعث منه.

وينساق في هذا السياق، دور بيهسة بنت أوس، زوج الحارث بن عوف المري، في إطفاء نار الحرب بين عبس وذبيان، إذ قالت لزوجها حين أراد أن يبني بها : أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها – اخرج إلى هؤلاء القوم، فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك، فلن يفوتك"[٥٨].

عشتار (الزهرة) ربة العشق والجنس واللهو

حين ارتقى العقل البشري، وارتفع نحو التجريد، اتخذ للآلهة رموزاً في السماء فجعل لكل منها رمزاً يتمثل في نجم أو كوكب أو مجموعة من النجوم، جاء في اللوح الخامس من أسطورة الخلق البابلية : "أن النجوم هي صور الآلهة وهي رموزها"[٥٩].

ولما كانت " عشتار " في نظر الإنسان القديم من أهم الآلهة وأعظمها، لأنها الأم الكبرى، والقوة العظمى المحركة لأحداث الكون، فقد تمثلها في "الزهرة" أجمل كواكب المجوعة الشمسية وألمعها، وتميزها بالحسن والبهاء والجمال، فسماها السومريون "إنانا" أي سيدة السماء، حيث "إن" تعني سيدة، و"آن" تعني السماء[٦٠]، أما العرب فقد أطلقوا عليها "النجم الثاقب" وفي اللهجة المهرية تسمى "كبكيب نوير" أي النجم المنير أو "زهر" أي النجم، وعند العبريين تسمى "كوكب أور" أي النجم المضيء، وعند الآراميين "كوكب نوجا" أي النجم المضيء، وعند البابليين "نيجيتو جيتملتو شوترتو" أي النور التام العظيم، أو "شرت ككابي" أي ملكة النجوم"[٦١] وهي عند معظم الشعوب القديمة تلقب بـ "ملكة السماء"[٦٢]، وقد خلد الأدب البابلي صعود عشتار إلى السماء وارتقاءها عرش الملوكية ممثلة في كوكب الزهرة في نشيد ارتقاء عشتار، وفيه :

" *إلى هذه المكانة أي عشتار ارتقي*

ارتقي إلى الملكية عليهم جميعاً

أي إنين، كوني أنت الأكثر لمعاناً بينهم

وليطلقوا عليك تسمية " عشتار – الكواكب"

وبسمو وإلى جوارهم

فليتبدل مكانك إلى المكان الأعلى"[٦٣]

اشتهرت على مر الأزمان إلهة للحب والجمال، وربة للعشق، وملكة للذة، وسيدة للدافع الجنسي، وارتبطت عبادتها بالعاهرات المقدسات المعروفات بالعشتاريات، ومن طقوس عبادتها البغاء المقدس الذي كان يقام في معابدها مدداً للقوة الإخصابية الكونية، ودعماً لها، وذلك لإخصاب الطبيعية والأرض، وللمحافظة على استمراية الوجود، وتواصل الحياة.

فعشتار الزهرة، هي البغي المقدسة، ومركز الطاقة الجنسية العارمة التي لا تهدأ، لأن في سكونها همود لعالم الحياة، تقول واصفة نفسها: " أنا العاهرة الحنون، وأنا من يدفع الرجل إلى المرأة، ويدفع المراة إلى الرجل"[٦٤].

شخصتها الديانات الوثنية في صور شتى لأمراة عارية[٦٥]، وأقامت لها المعابد في جميع أنحاء العالم القديم لممارسة الجنس المقدس فيها، يقول هيرودوت :"ينبغي لكل أمرأة بابلية أن تجلس في هيكل الزهرة مرة في حياتها، وأن تضاجع رجلاً غريباً ... وكان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يُلقي أحد الغرباء قطعة من الفضة في حجرها، ويضاجعها في خارج المعبد"[٦٦]، ويقول جيمس فريزر :"ويظهر أن العرف في قبرص سابقاً، كان يلزم جميع النساء قبل الزواج أن يضاجعن الغرباء في هيكل الإلهة سواء كان اسمها أفروديتي، أو عشتاروت ... ومهما يكن الدافع لذلك، فإنه لم يكن مجرد انغماس في الفسق الشهواني بل كان واجباً دينياً خطيراً يقام به خدمة للإلهة الأم العظمى"[٦٧].

وذكر المقريزي في خططه أن الملك " تدراس بن حيا" أحد ملوك مصر القدماء، بنى للزهرة بيتاً عظيماً في غربي مدينة "منف"، وأقام فيه صنماً عظيماً في صورة امرأة، جعل

بحذائه بقرة ذات قرنين وضرعين[٦٨]، وقد انتشرت معابدها في فينيقيا وقبرص وأرمينيا واليونان وبلاد كنعان وعند العبريين.

كان يرمز للزهرة في المنحوتات والأختام القديمة بنجمة ثمانية، وقد يندمج هذا الرمز برموز آلهة سماوية أخرى مثل القمر وقرص الشمس[٦٩]، ونظراً لظهورها المتناوب في السماء، تارة عند الغروب، وتارة قبل الشروق – تبعا لدورانها حول الشمس – فقد سموها ربة المساء وربة السحر[٧٠]، فاعتبروها إلهة الحب واللذة في المساء، وإلهة الحرب والقتل في الصباح.

انتقلت عبادتها من بلاد الرافدين إلى الكنعانين فعرفت عندهم باسم "عناة أو عستارت" وفي فينيقيا شمالاً عرفت باسمها الآشوري "استار" ومع الفينيقيين عبرت البحر غرباً، فعرفت في بلاد اليونان باسم "أفروديت" وفي روما باسم "فينوس" وكانت تعبد هناك باعتبارها إلهة بحرية، فسموها "نجمة البحر"، وذكروا أن ولادتها كانت على شواطئ فينيقيا من زبد البحر حوتها صدفة، ودفعتها الرياح إلى شطآن جزيرة قبرص[٧١].

وفي الحكايات التي يرويها الإبشيهي عن بنات الماء، ما ينبئ باحتفاظ الذاكرة العربية شيئاً من صفات عشتار البحرية، فيصفهن بقوله : "أمة ببحر الروم يشبهن النساء، ذوات شعور وثديّ وفروج، وهن حسان، ولهن كلام لا يفهم، وضحك ولعب ... ويقال : إن الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن، فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء، ثم يعيدونهن في البحر ثانياً"[٧٢]، ومن هذه الحكايات " أن رجلاً من الأندلس اصطاد جارية منهن حسناء الوجه، كاملة الأوصاف، فأقامت عنده سنين، وأحبها حباً شديداً، وأولدها ولداً ذكراً، وبلغ من العمر أربع سنين، ثم إنه أراد السفر فصحبها معه، ووثق بها، فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر، فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له، وألقت له صدفاً كثيراً فيه در ثم سلمت عليه وتركته"[٧٣].

وارتبطت الزهرة عند العرب بالأم الكبرى عشتار، وشخصوها في الصنهم المعروف بـ "العزى"، ولم تختلف صفاتها وطقوس عبادتها عند العرب عنها عند الأمم الأخرى، فهي تحمل

معاني البياض والإشراق والبهجة والحسن والجمال، واطلقوا عليها "كوكب الحسن وملكة السماء"(٧٤)، فالزهرة كما يقول ابن منظور هو البياض النير، وهو أحسن الألوان، والأزهر : الأبيض المستنير، ومن الرجال الأبيض العتيق البياض، وهو أحسن البياض كأن لـه بريقاً ونوراً، والزاهر : الحسن الأبيض من الرجال، ورجل أزهر أي أبيض حسن مشرق الوجه، والزهرة : الكوكب الأبيض، والأزهران : الشمس والقمر، والأزهر : الثور الوحشي، والزهراء : البقرة الوحشية، والمزهر: العود الذي يضرب به، وقضيت من زهري أي وطري وحاجتي(٧٥).

ويلاحظ مما ساقه ابن منظور أن العربية – حارسة التراث السامي – قد ربطت بين الزهرة والبياض والشمس والقمر والثور والبقرة الوحشية والغناء والجنس، وكلها رموز مقدسة في المعتقدات القديمة، واحتفى العرب باللون الأبيض فكلف الشعراء به، واستخدموه في أشعارهم أكثر من غيره من الألوان، وأخذوا منه صفات الرفعة والسمو والطهر والنقاء، فوصفوا به وجوه الشخصيات الإنسانية التي كانت موضع إجلال وتقديس في مجتمعهم، كالملوك والسادة والأبطال، تلك الشخصيات التي عبدت في الديانات القديمة برمتها، نتيجة وضعها المتميز في المجتمع حيث أخذت صورة الرمز أو البديل للمعبود(٧٦).

يقول زهير بن أبي سلمى واصفاً هرم بن سنان(٧٧) :

أغر أبيض فياض يفكّك عن

أيدي العناة وعن أعناقها الربقا

وتقول الخنساء في رثاء أخيها صخر(٧٨) :

أغر أزهر مثل البدر صورته

صاف عتيق فما في وجهة ندبُ

ويقول الأفوه الأودي(٧٩) :

بمناقب بيض كأن وجوههم

زهر قبيل ترجل الشمس

ومن الباحثين من أخذ من اللون الأبيض بعده الديني، وجعله صفة للرجل المثال الكامل في الشعر الجاهلي؛ فربط من خلاله بين السيد وبين القمر والثور الوحشي[٨٠].

وكما وصف الرجل المثال باللون الأبيض، كذلك وصفت المرأة المثال بالبياض وبخاصة المائل إلى الصفرة، ومنه لون الدرة والبيضة والشمس، يقول الأعشى[٨١] :

كأنها درة زهراء أخرجها
غواص دارين يخشى دونها الغرقا

ويقول امرؤ القيس[٨٢] :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل

كبكر مقاناة البياض بصفرة
غذاها نمير الماء غير المحلل

ويقول المخبل السعدي[٨٣] :

كعقيلة الدر استضاء بها
محراب عرش عظيمها العجم

أو بيضة الدعص التي وضعت
في الأرض ليس لمسها حجم

وتتناهى صورة محبوبة امرئ القيس في صورة الزهراء/ البقرة الوحشية حين يقول[٨٤]:

تمشي كمشي الزهراء في دمث الـ
رمل إلى السهل دونه الجرف

ونسب العرب إلى الزهرة دوافع العشق والجنس " فسماها المنجمون بالسعد الأصغر، وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو، كما أن النظر إليها مما يوجب فرحاً وسروراً وزعموا

أن من شأنها الشبق والباه والألفة، حتى لو نكح رجل امرأة والزهرة حسنة الحال وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب منه"[٨٥].

ومما يؤكد أن الزهرة إلهة الجنس والإخصاب عند العرب، ما ذكره الألوسي من مذاهبهم "أن المرأة منهم كانت إذا عسر عليها خاطب النكاح، نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وحجلت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً وتقول : يا لكاح : أبغي النكاح. قبل الصباح، فيسهل أمرها وتتزوج"[٨٦]، قال الراجز :

تصنّعي ما شئت أن تصنّعي
وكحلي عينيك أو، لا فدعي!
ثم احجلي في البيت أو في المجمع
ما لك في بعل أرى من مطمع[٨٧]

وقال الآخر:

قد كحلت عينا وأعفت عينا
وعجلت ونشرت قرينا
تظن زينا ما تراه شينا[٨٨]

وكان للزهرة معبد في اليمن بناه الضحاك في مدينة صنعاء، وهو البيت الخامس من البيوت السبعة المعظمة في العالم يسمى "بيت غمدان"[٨٩]، وفي أعيادها كانت تقام الاحتفالات والأفراح المختلطة[٩٠].

ويذكر ابن الجوزي أن قربان الزهرة كان عجوزاً شمطاء ماجنة "يقدمونها بين يديها، وينادون حولها : أيتها الإلهة الماجنة،أتيناك بقربان، بياضه كبياضك،ومجانته كمجانتك، وظرفة كظرفك، فتقبّليها منا، ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز، ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق، فيحثون رمادها في وجه الصنم"[٩١].

ويوم الجمعة هو يوم الزهرة المقدس وكان يسمى "عروبة"، وتحمل معاني مشتقات هـذا الأسم بعضاً من صفات الزهرة وخصائصها، فالعرابة والإعراب : النكاح، والعربة والعروب: المرأة الضحاكة، والحسناء، والعاشقة، والغنجة، والحريصة على اللهو، والخائنة بفرجها[٩٢]، وقد أشار قيس بن الخطيم إلى هذه الصفات في قوله[٩٣] :

فيهم لعوب العشـاء آنسـة الـ

ـدل، عروب يسوءها الخلـف

ومما يدلل على أن يوم الجمعة هو يوم الزهرة عند العرب حتى بعد الإسلام مـا ذكـره صاحب اللسان من أن اليوم الأزهر هو ليلة الجمعة ويومها، ثم أورد قول الرسول ρ "أكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر"[٩٤]، ولنا أن نتساءل لماذا ذكر ابن منظور ليلـة الجمعة ويومها؟ ونحن نعلم أن اليوم عند العرب يدل على النهار وحسب.

واحتفظ اللسان الأوروبي بيوم الجمعة يوماً للزهرة فسمى هذا اليوم (Friday) أي يـوم الراحة، ويوم عبادة الإلهة الكبرى عندهم، ولا تخفى العلاقة بين هذا الاسم و Frodait زهرة اليونانيين القدماء[٩٥].

وقد أشار عمرو بن قميئة إلى قداسة هذا اليوم عند العرب فقال[٩٦] :

وقد بزّ عنه الرجل ظلما ورملوا

علاوته يـوم العروبـة بالـدم

وفي الكتابات الإسلامية المتأخرة تبرز الزهرة في النصوص الدينية الـشيعية الكوكـب الثالث من الكواكب السيارة التي رافقت زحل في تدبير خلق الكون والإنسان بأمر من المدبر تعالى "ثم إن الزهرة رافدت زحل ألف سنة خامسة، فخمرت خمائر العرب والنـساء، وأهـل اللهو والطرب، ونبعت العيون العذبة، فنزلت الأمطار معتدلة، وظهرت في تدبيرها الأشـجار المثمرة الطيبة الروائح، وظهرت الطير، وانتشرت في الهواء، وتكونت الحيوانـات المعتدلـة الناقصة، وكل ذلك مقدمة لظهور الشخص البشري"[٩٧] وواضح من هذا النص وإن كـان ذا

صبغة فلسفية في تصوير الخلق وأصل الوجود إلا أنه يعتمد على الأساطير الكوكبية المتوارثة من الشعوب القديمة.

كانت الزهرة – قبل مسخها – في الأسطورة العربية امرأة جميلة فاتنة تعيش على الأرض قبل أن تصعد إلى السماء وتتحول إلى ذاك الكوكب اللامع، ووردت أسطورة الزهرة العربية في كتب التفسير وقصص القرآن الكريم في تفسير قوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)[٩٨]، مع أن السورة الكريمة ليس فيها ذكر للزهرة، وذُكر الملكان دون الإشارة إلى قصة تتعلق بهما، مما يدل أن خيال المفسرين قد استمد قصصاً قديمة كانت متداولة في أذهان معاصريهم.

وملخص الأسطورة أن الملائكة أخذت تشكو ضلال البشر وفجورهم بعد نزول آدم عليه السلام، فأراد الله عز وجل أن يبتلي الملائكة أنفسهم، فأمرهم باختيار ملكين من أكثرهم نقاوة وزهداً، فاختاروا هاروت وماروت وأهبطا إلى الأرض، فعرضت لهما امرأة جميلة، فأقبلا عليها، وراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأخرجت لهما صنماً يعبدانه ويسجدان له، فامتنعا، ثم أتياها ثانية، فتمنعت، واشترطت عليهما إحدى ثلاث : إما عبادة الصنم، أو قتل النفس، أو شرب الخمر فاختارا شرب الخمر، فسقتهما حتى إذا أخذت الخمرة منهما، وقعا بالزهرة، ويمر بهما إنسان، فيخشيان الفضيحة، فيقتلانه، فأرادا العودة إلى السماء بعد أن عرفا وقوعهما في الخطيئة، فلم يستطيعا، فطلبت منهما المرأة تعليمها الكلام الذي يصعدان به، ففعلا، وعرجت إلى السماء، وهناك نسيت ما تنزل به، فبقيت في مكانها، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل، أما هاروت وماروت فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل يعذبان منكوسين في بئر إلى يوم القيامة[٩٩].

وتتضح في هذه الأسطورة بعض (الموتيفات) والآثار الدراسة من شخصية عشتار باعتبارها إلهة للحب والجنس والزهرة، فالمرأة مشهورة بالجمال والقدرة على فتنة الرجال، ارتقت إلى السماء كما ارتقت عشتار، وهي في رواية الثعلبي ملكة، وكانت بغياً كما تذكر بعض الروايات[١٠٠]، أغوت الملكين مثلما حاولت عشتار إغواء جلجامش، وفي شرب الملكين

الخمر إشارة إلى طقوس السكر التي ارتبطت بعبادة عشتار، وفي نهاية الملكين التعسة حيث نكسا في بئر ببابل ما يشبه مصير الإله تموز ونزوله إلى العالم الأسفل من بئر في بلاد بابل.

ولعل في هذه الأسطورة وفي الروايات التي سقناها ما يدل على شهرة الزهرة باعتبارها ربة للعشق والجمال، وقدرتها على إغواء الرجال، وأن صورتها هذه لم تك غريبة عن المخيلة العربية، وبذلك يمكن تفسير موقف المسلمين السلبي من هذا الكوكب في مثل ما روي من أن عبد الله بن عمر كان إذا طلعت الزهرة لعنها وقال : "هذه التي فتنت هاروت وماروت"(١٠١)، وأن المسلمين كانوا إذا رأوا الزهرة دعوا عليها بقولهم : "لا مرحبا ولا أهلا"(١٠٢).

وتبدو الزهرة ربة للخمرة عند الجاهليين، ولا غرو في ذلك، فقد كانت الخمرة شراب الآلهة المقدس تقدم قرابين لها، وكانت دم الإله، تشرب في أعياده المقدسة، "وما تزال الخمرة تشرب في ممارسات دينية تعيش حتى الآن ممثلة لدم الإله في الأعياد التي تحيي ذكرى موته، ومن لا يشربها بهذه الصفة لا يعد من المؤمنين"(١٠٣).

ونجد في أشعار الجاهليين آثاراً واضحة تدل على ارتباط الخمر بالزهرة، فالصبوح من أشهر أسماء الخمرة(١٠٤)، وقد ردد الشعراء الجاهليون هذا الاسم فقال امرؤ القيس(١٠٥) :

أغادي الصبوح عند هر وفرتنى

وليداً وهل أفنى شبابي غير هر!

وقال لبيد بن ربيعة وقد جمع بين الخمرة والمرأة والغناء(١٠٦) :

وصبوح صافية وجذب كرينة

بموتر تأتاله إيهامها

وقال عدي بن زيد(١٠٧) :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت

قينة في يمينها إبريق

وكانوا يشربونها سحرة قبل شروق الشمس أي عندما تظهر نجمة الصباح "ولعل الكأس في هذه الفترة تكون آخر ما يعاقره الشاعر قبل أن ينصرف، وكأنه أدى الطقس الذي فرضته الزهرة منذ قديم"[١٠٨]، يقول طرفة بن العبد[١٠٩] :

متى تأتني أصبحك كأساً رويــــة
وإن كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد

ويقول ربيعة بن مقروم[١١٠] :

وفتيان صدق قد صبحت سلافة
إذا الديك في جوش من الليل طرّبا

ويجمع الحادرة بين الخمر ودم الغزال المقدس والصباح فيقول[١١١] :

بكروا علي بسحرة فصبحتهــم
من عاتق كدم الغزال مشعشــــع

كما خلعوا على الخمرة صفات النور والشروق والصفاء والإشعاع والإصـــباح، فهـــي صهباء، سميت بذلك للونها إذا ضربت إلى البياض[١١٢]، وهي مشعشعة صافية، قال عبيد بن الأبـــرص[١١٣] :

إذا قلت فاها، قلت : طعم مدامة
مشعشعة ترخـــي الأزار قديـــح

وقال علقمة الفحل[١١٤] :

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم
والقوم تصرعهم صهباء خرطـــوم

وتتراءى الزهرة في كوب الخمر أو إبريقها، فيتحدان ويصبح لون الإناء والخمرة مـــن لون الزهرة في قول عنترة[١١٥]:

ولقد شربت من المدامة بعدمـــا
ركد الهواجر بالمشوف المعلم

بزجاجة صفراء ذات أسـرة

قرنت بأزهر في الشمال مفدم

وفي قول عبدة بن الطيب[١١٦] :

والكوب أزهر معصوب بقلتـه

فوق السياع من الريحان إكليل

ونسبوا أجود أنواع الخمرة إلى بابل حيث عشتار وهيكل الزهرة، وقصة هاروت وماروت فقال عبيد بن الأبرص[١١٧] :

ظلت بها كأنني شارب

صهباء مما عتقت بابل

ولقد كرر الشعراء استخدام هذه الأسماء والصفات تكراراً يخرجها عن التكرار الأسلوبي الذي يستند إلى القيمة البلاغية، ويدخله في دائرة الطقس والمعتقد، لذا فنحن بحاجة إلى ربط المجاز والرمز بأصولهما الأسطورية الموغلة في القدم.

ويتبدى وجه الزهرة (عشتار/المرأة) الأسود عند العرب من خلال علاقتها بالحرب، وما كان يصحب عبادتها من قسوة وموت، إذ كانوا يقدمون إليها القرابين البشرية، وأفضل غنائم حروبهم، يذكر "نيلوس الأكبر(٣٩٠)" – وقد كان راهباً على جبل سيناء – أن العرب "كانوا يقدسون نجم الصباح، ويقدمون له عند طلوعه أحسن ما غنموه، كما أنهم يضحون له أطفالاً جميلة فوق آكام من أحجار وذلك عند وقت الفلق"[١١٨]، ويذكر مؤرخ سرياني قديم "أن المنذر الرابع ملك الحيرة ضحى للعزى (الزهرة) ابن الحارث الجفني ملك غسان وقد وقع الولد بيده أسيراً، كما ضحى أربعمائة راهبة أسيرة، كن متنسكات في بعض أديرة العراق"[١١٩]. وكان طقس تقديم الأطفال للإلهة عشتار مشهوراً عند الكنعانيين، إذ عثر في معابد "عشتارت الكنعانية" على عشرات الهياكل العظيمة للأطفال تم تقديمها قرباناً للآلهة"[١٢٠].

وهكذا أصبحت الزهرة التي كانت مناطاً للهو والمجون إلهة دموية ترتبط بالحرب والقتل، يقدم لها الأسرى قرابين بشرية، ومن طقوس العرب في ذلك أنهم إذا لم يقع في يد أحدهم من الأسرى، يذبحون ناقة من العيس خالصة البياض، ينيخونها ويدورون حولها ثلاثاً، ثم يتقدم كاهنهم أو زعيمهم بكل رونق، وهم يتغنون بأغانيهم، فيضرب بالسيف أوداج الناقة، ويتلقى دمها فيشربه، ثم يركض الباقون، ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة، فيأكلونها نيئة، ويسرعون في ذلك لئلا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظم، وذلك قبل طلوع الشمس[(١٢١)].

وتجمع اللغة بين وجهي ملكة السماء النقيضين من خلال لفظة "الصباح" فصبحه يصبحه صباحاً، سقاه صبوحاً، ... وصبح القوم شراً يصبحهم صبحاً، جاءهم به صباحاً"[(١٢٢)]، فتتحول الصبوح/الخمرة (دم الإله ودم الغزال) إلى دم الإنسان والموت معاً في قول عبد الله ابن الزبعري[(١٢٣)] :

وحتى يكون القتل فينا وفيهم

ويلقوا صبوحاً شره غير منجلي

وقول قيس بن الحدادية[(١٢٤)] :

فليت المنايا صبحتني غدية

بذبح ولم أسمع لبين مناديا

ويتراءى كأس الموت كأساً من الخمرة في قول الأعشى[(١٢٥)] :

أذاقوهمو كأسا من الموت مرة

وقد بذخت فرسانهم وأدلت

والقتال تساقيا، وما يتطاير من الخوذ والرؤوس رذاذ الخمرة في قول النابغة[(١٢٦)] :

فهم يتساقون المنية بينهم

بأيديهم بيض رقاق المضارب

يطير رذاذاً بينها كل قونس

ويتبعها منهم فراش الحواجب

ويغدو الصباح رمز الحياة، الموت بحد ذاته في حديث أبي بكر[١٢٧] :

كل امرئ مصبح في أهلـــــه

والموت أدنى من شراك نعله

ويصير يوم الصباح يوم الغارة في قول الأعشى[١٢٨] :

به تُرعف الألف إذا أرسلـت

غداة الصباح إذا النقع ثـارا

وفتى الصباح فتى الحرب تعبيراً عن البطولة والشجاعة في قول الطفيل الغنوي[١٢٩] :

تجيء بفرسان الصباح عوابسا

مسومة تردي بكـل مقنـع

وفي قول عوف بن عطية[١٣٠] :

ولنعم فتيان الصباح لقيتهـــم

وإذا النساء حواسر كالعنقـر

"والعرب تقول إذا نذرت بغارة تفجؤُهم صباحاً : يا صباحاه، ينذرون الحي أجمع بالنداء العالي ... وتقولها إذا صاحوا للغارة، لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح"[١٣١]، وقـد كـرر الشعراء في سياق حديثهم عن الحرب عبارات مثل "وغداة صبحن"[١٣٢] و"نحن صبحنا"[١٣٣]، و"إذن نصبحهم"[١٣٤]، و"صبحهم"[١٣٥]، و"مع الصبح"[١٣٦]، و"غداة" و"غدوة" و"لدن غدوة"[١٣٧].

في ضوء فهمنا هذا لربة الحرب، نستطيع تفسير بعض الطقوس الخاصة التي كان يقيمها عبادها عند القتل، وقبل الأخذ بالثأر، ومنها تحريم الخمر وتجافي النساء، والبعد عن التطيـب والاغتسال، وكلها ضروب من البهجة والتنعم التي تتعارض مع وجه الإلهة الأسود في هـذه الحال، قال المهلهل في مناجاة أخيه كليب[١٣٨] :

خذ *العهد الأكيد علي عمـري*

بتركي كل ما حوت الديـــار

وهجر الغانيات وشرب كـــأس

ولبسي جبـــــة لا تستعـــــار

وكذلك تفسير طقس الثأر نفسه بأنه كان إرضاء لإلهة الحرب، إذ كانوا يستفتونها قبـــل الإقدام على الأخذ بثأرهم، فهذا رجل من العرب يستقسم "ذا الخلصة – صنم الزهرة بـــأرض تبالة من اليمن[١٣٩] في الأخذ بثأر أبيه وحينما نهاه صنمها كفر به فقال[١٤٠] :

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا

مثلي وكان شيخك المقبـــورا

لم تنه عن قتل العداة زورا

وهذا يعني أن "إراقة دم القاتل ليس تعصباً للرحم والقرابـــة، ولـــيس استـــشفاء للـــنفس وإرضاء لغريزة الانتقام، وليس حباً للقتل من أجل القتـــل، بـــل هـــو تنفيـــذ حرفـــي لأمـــر الآلهة"[١٤١].

مما يؤكد لنا الجذور الدينية للثأر عند العرب، وأنه في أصله طقس تطهري يرتبط بعقيدة دينية وليس عادة مكتسبة كما يصفه معظم الباحثين، وبهذا وصفته الخنساء في قولها[١٤٢] :

أو ترحضوا عنكم عاراً تجللكم

رحض العوارك حيضاً عند أطهار

وبعد التطهر تحل كل المحرمات التي ارتبطت بالأنثى / الإلهة فيقول امرؤ القيس[١٤٣] :

حلت لي الخمر وكنت امـــــرأ

عن شربها في شغـــل شاغـــــل

فاليوم فاشرب غير مستحقـــب

إثمـــــا مـــن الله ولا واغـــــل

ويقول عصمة بن حدرة اليربوعي[١٤٤] :

الله قد أمكننـــــي مـــن عبـــس

ساغ شرابي وشفيت نفســــــي

وكنت لا أقرب طهر عـــــرس

وكنت لا أشرب فضل الكـأس

ولا أشد بالوخاف رأسي

هكذا إذن بدت الزهرة في الفكر الجاهلي، فهي مثل عشتار تشعل جذوة الحب، وتوقد نار الحرب إنها النور والنار على حد سواء.

بين العزى وعشتار

لقد عبدت العرب العزى – هذا لا شك فيه – فتسموا باسمها، وضحوا لها، وأقسموا بها، وفيما أوردنا من أخبار وأشعار تأكيد على قداسة الزهرة كوكب الحسن والجمال، ولقد مثلتهـا العرب في الصنم المعروف بالعزى، وساق عدد من الباحثين أدلة كثيرة تدلل على أن العزى هي الزهرة عند العرب(١٤٥). مما يغرينا بالربط بي العزى وعشتار، ويدفعنا إلى التساؤل عن أوجه الشبه بين هاتين الإلهتين وطقوس عبادتهما، ورموزهما، ومدى حضورهما فـي فكـر الجاهلي، وصداهما في شعره.

وتسعفنا – بداية – لغتنا الفصيحة في التعرف إلى الإلهة العزى فهـي "تأنيـث الأعـز، والأعز بمعنى العزيز، والعزى بمعنى العزيزة"(١٤٦)، وهذه الصفة تذكرنا بملوكيـة عـشتار والزهرة، فالعزيزة هنا بمعنى الشديدة القوية الغالبة كل شيء، والتي ليست كمثلها شيء، لـم لا؟ وهي ابنة كبير الآلهة العربية "هبل" أو "بعل" إله الخصب والماء(١٤٧)، مثلما هي عـشتار ابنة الإله آنو أو الإله سين كبير الآلهة البابلية، وفينوس ابنة الإله زيوس كبير آلهة الإغريق، كان لها صنم معبود وهو أعظم أصنام قريش، حمت لها شعباً من وادي حراض، يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة(١٤٨)، ولها هيكل محمي، وسادن يقوم على خدمته، بكاها أبو خـراش الهذلي ومعبدها وسادنها حينما أزال خالد بن الوليد آثارها فقال(١٤٩) :

ما لدبية منذ اليوم لـــم أره

وسط الشروب ولم يلمم ولم يطف

أمسى سقام خلاء لا أنيس به

إلا السباع ومر الريط والغــــرف

وأقسموا بها فقال أوس بن حجر(١٥٠) :

وباللات والعزى ومن دان دينها

وبالله إن الله منـــهــــن أكبـــــر

وبغبغبها، وهو المنحر الذي كانوا يعترون عليه، ويقدمون إليها القرابين، فقال قيس بـــن الحدادية(١٥١):

يمينا برب الراقصات عشيــــة

وإلا فأنصاب يمرن بغبغــب

والدماء التي سفكت عليه فقال الشاعر(١٥٢) :

أما ودماء مائـــرات تخالهـــا

على قنة العزى وبالنسر عندما

وحرمها المقدس فقال أبو جندب الهذلي(١٥٣) :

لقد حلفت جهداً يميناً غليظــــة

بفرع التي أحمت فروع سقام

وكلهم كان معظماً للعزى، ولم يكونوا يرون في الخمسة الأصنام التي رفعها عمرو بـــن لحي كرأيهم في هذه"(١٥٤)، وكانت قريش تخصها بالإعظام، وتطلب الشفاعة منهـــا والـــلات ومناة، وتلهج باسم هذه الإلهات الثلاث في طوافها بالكعبة فتقول : "واللات والعـــزى ومنـــاه الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجـــي"(١٥٥)، وتقـــدم إليهـــا الهـــدايا والقرابين، يزعم ابن الكلبى أن الرسول ρ أهدى لها شاة عفراء وهو على ديـــن قومـــه(١٥٦)، وكان الوليد بن المغيره يأتيها بخير ماله من الإبل والغنم، فيذبحها لها، ويقيم عندها ثلاثاً ثـــم ينصرف إليهم مسروراً، وقد بكى سعد بن العاص في مرضه الأخير خوفاً عليها لا خوفاً من

الموت، فطمأنه أبو لهب، وخاطبه قائلاً له : "والله ما عبدت في حياتك لأجلك، ولا تتركك عبادتها بعدك لموتك" فقال أبو أحيحة : الآن علمت أن لي خليفة"[١٥٧].

ولقد مثلت العرب العزى امرأة حسناء في صور الزهرة، أما تغير وجهها الجميل في لقائها مع خالد بن الوليد فلأنها في لحظة حرب وقتال، وليس كما يقول د. عبد المعيد خان رد فعل الإسلام على الأسطورة القديمة[١٥٨]، فحينما انطلق خالد إلى بطن نخلة ليهدمها ويعضد السمرات الثلاث، خرجت له من الشجرة الأخيرة امرأة حبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها، وخلفها دبية السلمي يحرضها على خالد ويقول[١٥٩] :

أعزيّ شدي شدة لا تكذبي

على خالد ألقي الخمار وشمري

فإنك إن لم تقتلي اليوم خالداً

تبوئي بذل عاجلاً وتنصري

فالخمار أو القناع الذي كان للعزى في تصور العرب هو عينة قناع عشتار الذي اشتهرت به، فكانت تسفر عن وجهها أمام عبادها فقط، وقد ارتبط هذا القناع بالحب عند الجاهليين فهم "يزعمون أن الرجل إذا أحب امرأة وأحبته فشق برقعها، وشقت رداءه صلح حبهما ودام، فإن لم يفعلا ذلك فسد حبهما، قال سحيم عبد بني الحسحاس :

وكم قد شققنا من رداء محبر

ومن برقع عن طفلة غير عانس

إذا شق برد شق بالبرد برقع

دواليك حتى كلنا غير لابس

تروم بهذا الفعل بقيا على الهوى

وإلف الهوى يغري بهذي الوساوس"[١٦٠]

ويبدو أن سحيماً قد نسي جذور هذا الطقس أو أنه سماه وساوس من منطلق إســلامي إذا صحت نسبة البيت الثالث إليه لأنه لم يرد في ديوانه، وقد أكثر الشعراء الجاهليون من ذكــر هذا القناع في معرض غزلهم، وجعلوه من صفات المرأة الحيية العفيفة، قال الشنفري[١٦١]:

وقد أعجبني لا سقوط قناعهـــا

إذا ما مشت ولا بذات تلفـــــت

وقال الطفيل الغنوي[١٦٢] :

عروب كأن الشمس تحت قناعها

إذا ابتسمت أو سافراً لم تبســـــم

وتبرز الأم العربية الكبرى (العزى) إلهة للخصب والحياة من خلال علاقتها بالمطر لغة إذ العز والعزاء في اللغة المطر الغزير[١٦٣]، وارتباطها بفصل الشتاء وصفاً في قــول كبيــر كهّانهم عمرو بن لحي : "إن ربكم يشتي بالعزى لحر تهامة"[١٦٤]، فهي مثــل إيــزيس التـــي ارتبطت بالشتاء[١٦٥]، وعشتار التي كان ينهمر المطر من بين يديها كما ظهرت مصورة على بعض الأختام[١٦٦].

وإلى الماء تتضاف الشجرة رمز الإلهة الأم، ومقر راحة الأم الكبرى، وإلهة الخصب في بابل[١٦٧]، حيث عبدت العزى في سمرات ثلاث[١٦٨]، استحالت الثالثة منها إلى امرأة وكأنهـــا عادت إلى أصلها في صورة "مورا" والدة الإله تموز التي تحولت إلى شجرة عرفت فيما بعد باسم شجرة المر[١٦٩]، وكانت هذه السمرات في موضع يقال له بطن نخلة "ولقد وحّد الفينقيون بين النخلة التي اعتبرها الساميون بعامة شجرة الحياة في جنة عدن وبـــين إلهـــة الإخـــصاب الجنسي والتعشير عشتروت أو عشتار ... كما أن من اسمها جاءت تسمية فينيقيا أو فينيق أبو الفينيقيين بمعنى الدامي، إذ إن شعوب البحر الأبيض بعامة ربطت بـــين عمليـــات إخـــصاب النخيل أو ما يعرف بالطلوع أو التلقيح ... وبين توالي الولادة والاستمرار"[١٧٠].

كما عبد العرب نخلة نجران بصفتها إلهة، وكانوا يعلقون أزياء النساء عليهـــا، وربـــط الشعراء بين المرأة والشجرة بعامة فقال الطفيل الغنوي[١٧١] :

إن النساء كأشجار نبتن معـــاً

منها المرار وبعض المر مأكول

واستلهموا صورة النخلة بعامة، وجعلوها رمزاً للمرأة، فهذا أبو دؤاد الإيادي يقول[١٧٢] :

وتراهن في الهوادج كالغـــز

لان ما إن ينالهـــن السهـــام

نخلات من نخل بيســان أينعــ

ن جميعـاً ونبتهـــن تـــؤام

فهو يجمع بين المرأة والغزال والنخلة المخصبة، ويشير إليها جميعـاً بنـون النسوة، وينسب النخلات إلى بيسان من أرض فلسطين حيث علاقتها بالفينيقيين.

وبوصفها ربة للذة والجنس، وراعية للخصب الإنساني، بدت العزى في رواية ابن كثير حينما قتلها خالد امرأة عارية كما ذكرنا من قبل، ودلالة العري على الجنس واضحة، كـذلك ربطت المرأة الجاهلية الفعل الجنسي بنجم الصباح رمز العزى، فقال "يا لكاج. أبغي النكـاح، عند الصباح"، "وقد ورد في الأدب البابلي أن البنات كانت تباع في عيد عـشتار فـي عهـد ازدوبار، وقد ذكر سميث أن الزهرة بأرض آلوسة كانت الإلهة (ذي الخلصة) التي انتـشرت عبادتها بتبالة من اليمن، وكانت تجتمع حولها نساء دوس في عيدهم"[١٧٣].

أما صلة العزى بالحرب، فتظهر لنا من خلال افتخار أبي سفيان بربته الحربية، وزهوه بها يوم أحد، وكأنه يعزو النصر إليها فيهتف بالمسلمين قائلاً : "لنا العزى ولا عـزى لكـم" فيأمر رسول الله ρ عمرو بن الخطاب رضي الله عنـه أن يقـول : "الله مولانـا ولا مـولى لكم"[١٧٤].

ومن خلال القرابين البشرية التي كانت تقدم إليها، ومن وجهها الأسود الذي برزت بـه لخالد بن الوليد ساعة اللقاء، والحال التي كانت عليها وهي "تصك أسـنانها" وكأنهـا تبـدي

نواجذها وأنيابها، وكثيراً ما وظف الشعراء صورتها الأخيرة هذه في الحرب، فقال بشر بن عمرو بن مرشد[١٧٥] :

قل لابن كلثوم الساعي بذمته
أبشر بحرب تعض الشيخ بالريق

وصاحبيه فلا ينعم صباحهما
أذفرت الحرب عن أنيابها الروق

وقال أوس بن حجر[١٧٦] :

وأني امرؤ أعددت للحرب بعدما
رأيت لها ناباً من الشر أعصلا

وليس غريباً بعد كل الذي سبق أن تتحد صفات العزى بصفات عشتار في دلالات الجذر "عزز"[١٧٧]. وأن تتشابك عناصر الأسطورة القديمة – التي بهتت معالمها – في حديث "زبراء" كاهنة بني رئام وكانت أمة لعجوز منهم تدعى "خويلة"، فحذرت سبعين رجلاً من قومها كانوا في عرس لهم أشارى سكارى، من مداهمة بني داهن وبني ناعب، فانصرف منهم أربعون، وقتل الباقون الذين سخروا من نبوءة الكاهنة، فأقبلت خويلة على القتلى في الصباح، فقطعت خناصرهم، وانتظمت منها قلادة، وألقتها في عنقها، وخرجت حتى لحقت بابن اختها مرضواي ابن سعوة المهري، فأناخت بفنائه وأنشأت تقول له :

جاءتك وافدة الثكالى تغتلي
بسوارها فوق الفضاء الناضب

هذي خناصر أسرتي مسرودة
في الجيد مني مثل سمط الكاعب

طرقتهم أم اللهيم فأصبحوا
تستن فوقهم ذيول حواصب

فابرد غليل خويلة الثكلى التي
رميت بأثقل من صخور الصاقب

فأجابها مرضواي :

أخالتنا ســــــر النســاء محــــرم *عليّ وتشهاد الندامــــى على الخمر*

لئن لم أصبِّـــح داهنـــا ولفيفهـــا *وناعبها جهراً براغيــة البكـــــــر*

فواري بنان القوم في غامض الثرى *وصوري إليك من قناع ومن ستـــر*

فإني زعيــــم أن أروّي هامهـــــم *وأظمئ هاماً ما انسرى الليل بالفجر*"[١٧٨]

حيث علاقة الكاهنة بالحرب، والمرأة العجوز "خويلة" التي مثلــت صـــورة العـــزى أو عشتار التي كان يحلي جيدها عقد[١٧٩]، والخمرة والسكر، وتسمية الحرب بأم اللهيم، وقنـــاع العزى، ونجمة الصباح، وتابو تحريم الخمر والنساء في طقس الثأر.

وبعد، فلعلنا نستطيع تلمس الأصل الذي صدرت عنه أغلى قيم الجاهلية، ومثلهـــا العليـــا الثلاث : المرأة، والخمرة، والفروسية، تلك القيم التي تعاور عليها الشعراء، وأضـــفوا عليهـــا هالة من التقديس، إنها صفات الأم الكبرى في رموزها وطقوس عبادتها، والتي انعكست فـــي صورة البطل المثال، والقائد الحامي، والسيد المقدس، فحرص الشعراء على الاتصاف بهـــا، فقال امرؤ القيس[١٨٠] :

كأني لم أركب جواداً للــــذة *ولم أتبطن كاعباً ذات خلخـــــال*

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل *لخيلي كري كرة بعد إجفـــــــال*

وقال طرفة بن العبد[١٨١] :

ولولا ثلاث هن من عيشـــة الفتـــى *وجدك لم أحفل متى قام عـــوّدي*

فمنهن سبقي العــاذلات بشربــــة
كميت متى ما تعل بالماء تزبــد
وكري إذا نادى المضــاف محنّبــاً
كسيد الغضا، نبهته المتــــورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمـــد

وقال قيس بن الحدادية(١٨٢) :

وأصبحـــت بعـــد الأنس جبة
أساقي الكماة الدارعين العواليا
فيوماي يوم في الحديد مسربلاً
ويوم مع البيض الأوانس لاهيا

ولعلنا نستطيع أن نقول إن المرأة في الشعر الجاهلي رمز للزهرة أيضاً، وليست رمـزاً للشمس وحسب، كما وردت عند كثير من دارسي الشعر الجاهلي(١٨٣)، وفي ذلك تأكيد علـى أصالة الشعر الجاهلي وانتمائه إلى عصره وتمثيله فكر أصحابه، إذ إن رمزية المرأة للشمس والزهرة على السواء دليل على اختلاف ديانة عرب الجنوب عن عرب الشمال الذين تـأثروا بديانة إخوانهم الشماليين : البابليين والكنعانيين والفينيقيين، وعلى امتـزاج هـاتين الـديانتين وتداخل رموز المعبودات بينهما، وهذا ما أكدته الدراسات التاريخية، يقول ديتلف نيلـسون : "والشيء الذي تجب مراعاته هو أن الشمس المذكرة عند الساميين الشماليين يجب ألا تقـارن بالشمس المؤنثة عند الساميين الجنوبيين، إذ وجه الشبه كالآتي : سامي جنوبي شمس "مؤنث"، سامي شمالي عشتر – عشتروت "مؤنث الزهراء"، سامي جنوبي عثتـر "مـذكر الزهـراء"، سامي شمالي شمس "مذكر"، أعني أن الإلهين لم يتغيرا من حيث الجنس بـل مـن الناحيـة الفلكية، فشمس العربية الجنوبية أصبحت أمّاً (الإلهة الأم) ولها نفس الأسطورة التـي تنـسب للإلهة عشتر – عشتروت عند الساميين الشماليين، إلا أن تغير الحالة الاجتماعية جعلها تقدس

في شخص كوكب آخر، فهي لا تقطن قرص الشمس بل نجم الزهراء، وهذه الظاهرة نلحظها في عثتر المذكر في الأسطورة العربية الجنوبية فقد أصبح عند الساميين الشماليين يقدس في قرص الشمس"(١٨٤).

في ضوء هذه الدراسة فإننا قد لا نتفق مع الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في تحليله عينية الحادرة(١٨٥)، فبعد أن أثبت أن سمية في مقدمة القصيدة ليست امرأة حقيقية، لم يرمز بها إلى الشمس وإنما ربطها بالثريا، وجعلها رمزاً لها، ولم يُعرف عن الديانات القديمة أنها شخصت وصورت الثريا أماً، ثم إنه ربط هذه الأم "الثريا" بـ فينوسات لوسيل، ومعروف أن فينوس رمز للزهرة في الأساطير الإغريقية وليست رمزاً للثريا، ولو اعتبر د. عبد الرحمن المرأة رمزاً للزهرة عشتار لاستقام تفسير القصيدة.

كما نجده يرى الزهرة إلها ذكراً مرة، وإلهة أنثى مرة أخرى فيقول : "أما الزهرة فكانت إلهاً ذكراً حيناً وإلهة أنثى حيناً آخر، ولوحظ أنها تكون ذكراً عندما نتجسد صفة الإله المحارب وتكون أنثى عاشقة عندما تكون إلهة الحب"(١٨٦)، وليس الأمر كذلك كما رأينا، إذ الزهرة رمز الأم الكبرى بوجهيها الأبيض والأسود.

وفي هذه الدراسة أيضاً رد على الذين ينفون صلة الزهرة بعشتار كما ذهب إلى ذلك الدكتور مصطفى الجوزو بقوله : "لكن ما نعرف عن الزهرة لا يجوز مقارنتها بعشتار، ولولا أن بابل مثلتها على صورة امرأة حسناء عارية، ولولا أن أسطورة جلجامش البابلية تصف عشتار بأنها امرأة ذات أخلاق خاصة، ولولا أنها عند الساميين إلهة الحب والفسق لما استطعنا أن نجعل بينها وبين الزهرة أي صلة"(١٨٧).

الهوامش

(١) سورة آل عمران، آية ٢٧.

(٢) السواح، فراس : لغز عشتار (الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط٦، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦م، ص٢٠٧.

(٣) نعمه، حسن : ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٦.

(٤) د. العربي، محمد : الديانات الوضعية المنقرضة، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٤٥.

(٥) الخوري، لطفي : معجم الأساطير، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م، ١/٢٣٧.

(٦) فرانكفورت : ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٧٠.

(٧) نعمه : مثيولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص٣٦.

(٨) ديوانه، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد الكاتب، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م، ص٢٨.

(٩) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم : قصص الأنبياء (عرائس المجالس)، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت، ص٥.

(١٠) السواح : لغز عشتار، ص٢٥.

(١١) الماجدي، خزعل : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط١، دار الشروق، عمان : ١٩٩٧م، ص١٢٤.

(١٢) السواح : لغز عشتار، ص٢٥، وانظر : كافين رايلي : الغرب والعالم، ترجمة د. عبد الوهاب المسيري، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٩٠، حزيران ١٩٨٥م، ص٣٦.

(١٣) السواح : لغز عشتار ص٤١+٤٢، وانظر : في أشكال هذه التماثيل : الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ص٨٢-٨٨ وبريل، نورمان : بزوغ العقل البشري، ترجمة إسماعيل حقي، مكتبة نهضة مصر، القاهر، ١٩٦٤م، ص١٦٦، ود. علي، فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م، ص٢١٣.

(١٤) الماجدي : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ص١٢٢.

(١٥) السواح : لغز عشتار، ص٢٦٣.

(١٦) السواح : لغز عشتار، ص٥٢.

(١٧) السابق، ص ٥٢+٥٣.

(١٨) السابق، ص٢٧.

(١٩) ديورانت، ول : قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محفوظ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، المجلد الأول ٢/٢٢٥، وانظر هوك، صموئيل هنري : منعطف المخيلة البشرية، ترجمة صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٨٣م، ص٣٢.

(٢٠) مغامرة العقل الأولى، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٧١.

(٢١) فاضل عبد الواحد علي : عشتار ومأساة تموز، ص٥١.

(٢٢) ادزارد : قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، ط١، دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧م، ص٢٢٤.

(٢٣) السواح : لغز عشتار، ص٢١٤.

(٢٤) الشواف، قاسم : ديوان الأساطير، ط١، دار الساقي، بيروت ١٩٩٩م، ٣/٢٩٠.

(٢٥) الخازن، نسيب وهيبة : أوغاريت (أجيال، أديان، ملاحم) ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١، ص٢١٣+٢١٤.

(٢٦) لغز عشتار، ص٢٢٣.

(٢٧) د. جمعه، بديع محمد : فينوس وأدونيس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٢.

(٢٨) Saggs, H.W.F : The Greatness that was Babylon, NewYork, 1962, P.333.

(٢٩) انظر : زايد، عبد الحميد : الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص١٤٧، وعشتار ومأساة تموز ص٥٠.

(٣٠) لغز عشتار، ص٢١٢.

(٣١) لغز عشتار، ص٢٣٤.

(٣٢) ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٩٣.

(٣٣) ديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، ١٩٧٤م، ١٨٩.

(٣٤) ديوانه، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص١٨٢.

(٣٥) انظر : ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٩، ٥٨، ١١٠، وشرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق عبد المنعم رؤوف شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٨، وشعر أبي داود الإيادي، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي : غوستاف فون غرنباوم، ترجمة د. إحسان عباس، ص٣٢٤، وديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جباري المعيبد، دار الجمهورية للنشر، بغداد، ١٩٦٥م، ص٨٤، وديوان سيحم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٤٣.

(٣٦) د. عبد الرحمن، نصرت : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط٢، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م، ص١١٠.

(٣٧) د. البطل، علي : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، بيروت، ١٩٨١م، ص٦٤.

(٣٨) ابن منظور : لسان العرب، والزبيدي : تاج العروس، مادة (دمي).

(٣٩) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ص١١١.

(٤٠) ديوان الأعشى، ص١٨٩-١٩١، لم يصدق نقادنا القدماء إمكان حدوث ما قاله الأعشى في البيت الأول فقال المرزباني : "وأنكروا عليه قوله : لو أسندت ميتاً إلى صدرها ... الخ، قال : وأخبرني بعض

شيوخنا أنه أدرك الناس وهم يزعمون أن هذا البيت أكذب بيت قالته العرب "الموشح، تحقيق على محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥، ص٧٦. وانظر ديوان عنترة ص٧٢ في قوله :

مهفهفة والسحر من لحظاتها   إذا كلّمت ميتاً يقوم من اللحد

(٤١) سورة النساء، آية ١٧.

(٤٢) اللسان "صنم".

(٤٣) د. علي، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م، ١/٥٢١-٥٢٣.

(٤٤) العسكري، أبو هلال : جمهرة الأمثال، تحقيق د. أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ٢/٢٥٨-٢٥٩.

(٤٥) ديوانه، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٦٧.

(٤٦) الأغاني، ١١/١٦٦.

(٤٧) ديوانه، ص١٢٠.

(٤٨) انظر : فريزر، جيمس : الغصن الذهبي، ترجمة د. أحمد أبو زيد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م، ص٧٥.

(٤٩) اللسان "حرب".

(٥٠) اللسان "عون".

(٥١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى – صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م، ص١٠٣.

(٥٢) ديوانه، تحقيق د. حسين نصار، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٢٤.

(٥٣) ديوانه، ص١٨٦.

(٥٤) الأصمعي، عبد الملك بن قريب : الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٧١.

(٥٥) شرح ديوانه، ص١٩-٢١.

(٥٦) ديوانه ص٣٥٣، وقد وردت هذه الأبيات لعمرو بن يكرب الزبيدي في الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٣، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ١/٣٨٠.

(٥٧) الآلوسي، محمود شكري : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣١٤هـ، ٣/٤+٥.

(٥٨) الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني، تحقيق عبد مهنا، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ١٠/٢٩٦.

(٥٩) جان بوتيرو : الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، جامعة بغداد، ١٩٧٠م، ص٨٨.

(٦٠) د. ميخائيل، نجيب : مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م، ٦/١٣٠.

(٦١) نيلسون، ديتلف : التاريخ العربي القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين علي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ت، ص١٩٦.

(٦٢) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة، م١ج٢/٢١٦، وكريمر، صمويل نوح : أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٨٧، وبشور، وديع : سومر وأكاد، دمشق، ١٩٨١م، ص١٩٠.

(٦٣) الشواق، قاسم : ديوان الأساطير، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م، ٣/٢٨٨.

(٦٤) لغز عشتار، ص١٨١.

(٦٥) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة، ك١ج٢/٢٩٩، وازدرد : قاموس الآلهة والأساطير ص٥٧.

(٦٦) ول ديورانت : قصة الحضارة م١ج٢/٢٢٩، وانظر لغز عشتار ص١٩٢، وحتى، فيليب : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢م، ١/١٣٢.

(٦٧) فريزر، جيمس : أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٣.

(٦٨) الخطط المقريزية، مكتبة إحياء العلوم، بيروت، د.ت، ١/٢٤٥، وانظر د. نافع، حبيب : عشتروت وأدونيس، دار مجلة الأديب، بيروت، ١٩٤٨م، ص١٨.

(٦٩) قاموس الآلهة والأساطير ص٥٨، وانظر فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز ص٤٢-٤٤، ونيلسون : التاريخ العربي القديم ص١٩٧، ود. سوسه، أحمد : تاريخ حضارة وادي الرافدين، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨٣م، ١/٢٧.

(٧٠) فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز ص٤٣.

(٧١) انظر د. جمعة، بديع محمد : فينوس وأدونيس ص١٩ وعبد الحكيم، شوقي : الفلكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨م، ص٥١، وحسن نعمة : ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ص٤٣.

(٧٢) الابشيهي، شهاب الدين بن محمد : المستطرف في كل من مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٦٧.

(٧٣) السابق، ص٣٦٨.

(٧٤) الحوت، محمود سليم : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط١، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٥٥م، ص٨٩.
(٧٥) اللسان "زهر".
(٧٦) انظر : كريمر : أساطير العالم القديم، ص٣، وديورانت : قصة الحضارة م١ج٢/١٥٩.
(٧٧) شرح ديوانه، ص٥٢.
(٧٨) ديوانها، دار كرم، دمشق، د.ت، ص٢٢.
(٧٩) ديوانه، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، صنعه عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٦.
(٨٠) انظر د. البطل : الصورة في الشعر العربي، ص١٨٤، وما بعدها، ود. النعيمي، أو إسماعيل : الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٠١.
(٨١) ديوانه، ص٤١٧.
(٨٢) ديوانه، ص١٥-١٦.
(٨٣) شعره، ضمن كتاب شعراء مقلون، جمعه د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣١٣.
(٨٤) ديوانه، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م، ص١٠٨.
(٨٥) القزويني، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية، د.ت، ص٢٦.
(٨٦) بلوغ الأرب٢/٣٣٠.
(٨٧) المرجع السابق والصفحة السابقة.
(٨٨) المرجع السابق والصفحة السابقة.
(٨٩) المسعودي، علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرجاء للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م، ٢/٢٤٠، وانظر د. جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/٤٤٦.
(٩٠) عبد الحكيم، شوقي : موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٨٦.
(٩١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج : تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص٥١.
(٩٢) اللسان "عرب".
(٩٣) ديوانه ص١٠٣.
(٩٤) اللسان "زهر".

(٩٥) يرى د. أنيس فريحة أن Vendred الجمعة هو في الأصل من Venus فينوس الزهوة، وأن DieVaneris هو يوم الزهرة أو الجمعة انظر : ملاحم وأساطير من الأدب السامي، دار النهار، بيروت، ١٩٨٩م، ص١١٣.

(٩٦) ديوانه، تحقيق خليل إبراهيم العطية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢م، ص٨١.

(٩٧) علي بن الوليد : رسالة المبدأ والمعاد، ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية ص١٠٨، نقلاً عدد محمد عجينة : موسوعة أساطير العرب، ط١، العربية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٤م، ١/٢٢١.

(٩٨) سورة البقرة، آية ١٠٢.

(٩٩) انظر : الطبري، محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، دار المعارف، القاهرة، د.ت ٢/٤٠٩-٤٤٢ والثعلبي، أحمد بن إبراهيم : قصص الأنبياء (عرائس المجالس)، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت، ص٣٢.

(١٠٠) د. جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/١٤٤.

(١٠١) تفسير الطبري، ١/٣٤٥.

(١٠٢) المرجع السابق، ١/٣٤٦.

(١٠٣) د. علي البطل : الصورة في الشعر العربي ص٧٥، وانظر ناصف مصطفى : قراءة ثانية لشعرنا القديم، نشر كلية الآداب، الجامعة الليبية، د.ت ص١٥١.

(١٠٤) اللسان "صبح".

(١٠٥) ديوانه، ص١١٠.

(١٠٦) ديوانه، تحقيق د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢، ص٣١٤.

(١٠٧) ديوانه، ص٧٨.

(١٠٨) د. زكي، أحمد كمال: التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، المجلد الأول العدد الثالث، إبريل، ١٩٨١م، ص١١٦-١١٧.

(١٠٩) ديوانه، تحقيق كرم البستاني، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص٣١.

(١١٠) الأصمعيات، ص٢٢٤.

(١١١) ديوانه، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٧.

(١١٢) اللسان "صهب" ويقول الأعشى (ديوانه ص٨٥) :

وصهباء طاف يهوديها وأبرزها وعليها ختم

(١١٣) ديوانه، ص٢٩.

(١١٤) ديوانه، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٩٦٩م،/ ص٦٨.

(١١٥) ديوانه، ص١٤٩.

(١١٦) شعره، جمعة د. يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧١م، ص٨١.

(١١٧) ديوانه، ص٩٨.

(١١٨) ديتلف نيلسون : التاريخ العربي القديم، ص١٩٨.

(١١٩) الحوت، محمود سليم : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص٧٠.

(١٢٠) لغز عشتار، ص٢١٧.

(١٢١) شيخو، لويس : شعراء النصرانية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٦م، ص١٦.

(١٢٢) اللسان "صبح".

(١٢٣) شعره، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨١م، ص٤٤.

(١٢٤) شعره، ضمن كتاب "شعراء مقلون" جمعه د. حاتم صالح الضامن، ص٣٧، وديوان الأعشى، ص٣١١.

(١٢٥) ديوانه، ص٣٠٩.

(١٢٦) ديوانه، ص٤٤.

(١٢٧) اللسان "صبح".

(١٢٨) ديوانه، ص١٠٣.

(١٢٩) ديوانه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٨م، ص٥٤.

(١٣٠) التبريزي، يحيى بن علي الشيباني : شرح المفضليات، تحقيق محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ١١٣٣/٢.

(١٣١) اللسان "صبح".

(١٣٢) ديوان عنترة، ص٢٦.

(١٣٣) ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص١١٧+١١٨، والأصمعيات، ص١٥٥.

(١٣٤) ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الكنوز الأدبية، بيروت، د.ت ٤٥٤/٢.

(١٣٥) ديوان الأعشى، ص٣١١.

(١٣٦) ديوان قيس بن الخطيم، ص١٣٨.

(١٣٧) ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق د. عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٩٤م، ص٩٤، وديوان سلامة ابن جندل، تحقيق، د. فخر الدين قباوة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٦٣، ١٦٩.

(١٣٨) شيخو : شعراء النصرانية، ص١٦٤.

(١٣٩) يقول سميث "إن الزهرة بأرض ألوسة كانت الإلهة "ذا الخلصة" انظر د. عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ط٢، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٣٣، ومحمود سليم الحوت : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص٦١.

(١٤٠) ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب : الأصنام، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٤م، ص٢٢.

(١٤١) د. أبو سويلم، أنور : دراسات في الشعر الجاهلي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٣٢.

(١٤٢) ديوانها، ص٥٣.

(١٤٣) ديوان، ص٢٥٨.

(١٤٤) المزرباني، أبو عبد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، مطبعة المقدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ص٢٧٤.

(١٤٥) انظر : جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٣٨/٦ ومحمود سليم الحوت : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص٧٥، وعبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ص١٢٨. وسيد محمود القمني : الأسطورة والتراث، ط٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٦٨.

(١٤٦) اللسان "عزز".

(١٤٧) لذا نصب عمرو بن لحي هذا الصنم على بئر الأخسف في جوف الكعبة، انظر الأزرقي، محمد بن عبد الله : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ١٣٥٢هـ، ص٦٨.

(١٤٨) ابن الكلبي – الأصنام، ص١٧.

(١٤٩) المرجع السابق، ص٢٤.

(١٥٠) ديوانه، تحقيق د. محمد يوسف نجم، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣٦.

(١٥١) شعره، ضمن كتاب شعراء مقلون : د. حاتم صالح الضامن ص١١، والأصنام لابن الكلبي، ص٢١.

(١٥٢) الدميري، كمال الدين محمد بن موسى : حياة الحيوان الكبرى، تحقيق أحمد حسن يسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ٣٢/١.

(١٥٣) ابن الكلبي : الأصنام، ص١٨.

(١٥٤) الآلوسي : بلوغ الأرب ٢٠٥/٢.

(١٥٥) ابن الكلبي : الأصنام ص١٩، والآلوسي : بلوغ الأرب، ٣٠٢/٢.

(١٥٦) السابق، ص١٢.
(١٥٧) الأزرقي : أخبار مكة، ص٨١.
(١٥٨) ابن الكلبي : الأصنام، ص١٢.
(١٥٩) انظر د. عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ص١٣٢.
(١٦٠) ابن الكلبي : الأصنام ص٢٥، وفي رواية ابن كثير : "فإذا هي امرأة عارية ناشرة شعرها" تفسير ابن كثير ٢٥٤/٤.
(١٦١) الآلوسي : بلوغ الأرب، ٣٢٢/٢، وفي ديوان سحيم البيتان الأول والثاني فقط ص١٥.
(١٦٢) التبريزي : شرح المفضليات، ١٠٦/١.
(١٦٣) ديوانه، ص٧٥.
(١٦٤) اللسان "عزز".
(١٦٥) ابن الكلبي : الأصنام، ص٢٥.
(١٦٦) ول ديورانت : قصة الحضارة م١ج١٦٠/٢.
(١٦٧) فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز، ص٦٩.
(١٦٨) تبدو شجرة السمرة عند العرب رمزاً من رموز الخصب، وقد سموها "أم غيلان" (ديوان امرئ القيس ص٩) وتوحي هذه التسمية بمعادلتها بالأم (انظر د. ريتا عوض : بنية القصيدة الجاهلية دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٩١، وقد يكون لها علاقة بـ "سمير" أو "سميرنا" وهي الإلهة السورية التي حكمت بلاد آشور وآسيا الصغرى والجزيرة العربية.
(١٦٩) انظر : د. بديع جمعة، فينوس وأدونيس ص٤١.
(١٧٠) شوقي عبد الحكيم : الفلكلور والأساطير العربية ص٥٩، ولنا أن نربط بين شجرة النخيل وشجرة المر من خلال رحلة طائر الفينيق الذي يخرج من الجزيرة العربية حاملاً جثمان أبيه حتى يضعه في معبد هليوبوليس في لبنان حيث يحرقه هناك بأوراق شجر المر (انظر قصة طائر الفينيق شوقي عبد الحكيم، ص٦٠) وهذا يجعلنا نربط بين السمرة والنخلة حيث العزى ومكانها ببطن نخلة ثم ملاحظة دلالات الجذر "سمر" في اللسان إذ ترتبط بصفات العزى وعشتار.
(١٧١) ديوانه، ص٦٠.
(١٧٢) شعره، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي : غوستاف فون غرنباوم، ص٣٣٨.
(١٧٣) د. عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ص١٣٣.
(١٧٤) تاريخ الطبري، ٢١/٣.

(١٧٥) التبريزي : شرح المفضليات ٢/٧٤.

(١٧٦) ديوانه، ص٢١.

(١٧٧) "إذ العِزَّة : الشدة والقوة والغلبة والرفعة والامتناع، والعُزَّة : بيت الظبية، وبها سميت المرأة عزة، والعزيز : الممتنع والقوي والغالب كل شيء والذي ليس كمثله شيء، وعتر عزوز، وناقة عزوز لها لبن كثير جم، وأعزت الشاة : استبان حملها، والعز والعزاء : المطر الشديد، والعزوز : من أسماء فرج المرأة، والعزى : شجرة" انظر : اللسان "عزز".

(١٧٨) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم : الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ١/١٢٦-١٢٨.

(١٧٩) قاموس الآلهة والأساطير، ص٢٢٤.

(١٨٠) ديوانه، ص٣٥.

(١٨١) ديوانه، ص٣٢+٣٣.

(١٨٢) شعره، ضمن كتاب "شعراء مقلون"، ص٣٩.

(١٨٣) مثل د. نصرت عبد الرحمن في الصورة في الشعر الجاهلي، ود. علي البطل في الصورة في الشعر العربي، ود. إبراهيم عبد الرحمن في "الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ود. أحمد كمال زكي في كتابة الأساطير، ومقالته : التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثالث، إبريل ١٩٨١م، ود. قصي الحسين : انثربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام.

(١٨٤) نيلسون : التاريخ العربي القديم، ص٢٣٢.

(١٨٥) التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثالث، إبريل ١٩٨١م، ص١٣٧.

(١٨٦) الشعر الجاهلي، قضاياه الفنية والموضوعية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٣٠.

(١٨٧) من الأساطير العربية والخرافات، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٧.